بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الحنين لزيارة آل البيت(ع)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

المكان: طريق النجف - كربلاء - عمود ٢٨٦

الزمان: ١٥/صفر/١٤٤٠ – ٢٩/تشرين الأول/٢٠١٨

ألقى سماحة الشيخ بناهيان محاضرة حول «قيمة الحنين لزيارة آل البيت(ع)»، في موكب الإمام الرضا(ع) قرب العمود رقم ٢٨٦ المستقر في طريق مشاية الأربعين من النجف الى كربلاء. وإليكم فيما يلي مقاطع من هذه المحاضرة:

ألقى سماحة الشيخ بناهيان محاضرة حول «قيمة الحنين لزيارة آل البيت(ع)»، في موكب الإمام الرضا(ع) قرب العمود رقم ٢٨٦ المستقر في طريق مشاية الأربعين من النجف الى كربلاء. وإليكم فيما يلي مقاطع من هذه المحاضرة:

ماذا نفعل كي نحظى بأعظم فائدة من رحلة الأربعين؟ إحدى الممهّدات لهذا الأمر هي أن نعلم "ماذا يجري هنا"

إن إحدى الفروق بين جسم الإنسان وروحه هي «طريقة تأثير الغذاء المادي والمعنوي» على كل منهما. فحين يلجأ المرء الى الدواء لشفاء دائه الجسدي لا يحتاج الى معرفة طريقة تأثير الدواء على جسمه. فسواء كنت تعلم ما التأثير الذي يتركه «المضاد الحيوي» على جسمك أو لا تعلم، فإنه سيفعل في جسمك فعله. أما بالنسبة للروح فإن عِلمَك بما للغذاء الروحي، أياً ما كان، من تأثير وفوائد على روح الانسان سيزيد من تأثيره ويحسّنه كذلك. ماذا نفعل كي نجني أعظم الفائدة من رحلة الأربعين؟ إحدى المقدمات الهامّة لذلك هي أن نعلم ماذا يجري هنا وما هي البركات والفوائد المترتبة أساساً على هذه الزيارة المؤدّاة مشياً على الأقدام؟ كما ينبغي أن نعلم أين نحن وما الذي سنكافَأ به؟ مجرد معرفتنا بهذه الأمور سيزيد من الفائدة التي نكتسبها. كما أن جهلنا بهذه الأمور سيقلل من تلك الفائدة المرجوة. إن تأثير هذه الحركة يتعلق الى حد كبير بـ»علمنا» و»معرفتنا». ومنذ القِدم قالوا: «زوروا قبر الامام الحسين(ع) عن معرفة». وهناك جوانب عديدة لهذه المعرفة، وإحدى هذه الجوانب هو أن نعلم ما هو الطريق الذي مضينا فيه؟ وأن نعلم أقوال أولياء الله حول زائر كربلاء والأدعية التي تشيّعنا الآن في هذه الزيارة. هذه المعرفة تهبك سعة وجودية وهذه السعة بدورها ستجذب النور والبركة والرحمة في هذا الطريق وتمنح المرء قابلية الانتفاع من هذه البركات.

فالله سبحانه يولي اهتماماً كبيراً لفهم الناس. وباتّساع فهم الإنسان وازدياد معرفته ستحدث له أمور رائعة. إذن من الأعمال الجيدة في مسيرة الأربعين هذه هي أنه كلما توقف الشخص وسط الطريق لأخذ قسط من الراحة فليطالع كتاباً، أو فليسمع شيئا مما يقوله العلماء والخطباء، أو فليتعلم شيئاً ما بأي وسيلة متاحة. فمحطّات التوقف هذه أثناء الطريق هي فرصة مناسبة للتعلم واكتساب المعرفة وينبغي أن يصبح هذا الأمر تقليداً يُتّبَع. المواكب التي تقدّم للزوّار غذاء معرفياً في طريق مشاية الأربعين تُعتبر من المحطات الهامة جداً، ذلك لأن الاستعداد العقلي والروحي للمرء لتقبل الحقائق وهو يمشي في هذه المسيرة، يكون أكثر حتى من الأيام العشرة الأولى من محرم وليالي القدر وليالي شهر رمضان المبارك وهو في الوطن. هذه تجربتي خلال عشر سنين؛ فعقل المرء متفتّح في هذه المسيرة أكثر من أي وقت آخر. يعبّر الكثير من زوار الامام الحسين(ع) قائلين: «لا نعلم سبب هذا الهوى، اجتاحنا الحنين للزيارة فجأة، فشددنا الرحال!». يتبين أنه كم قلوب هؤلاء الأشخاص نقية صافية حتى أُلهِمَت أنه «ثمة في هذا المكان شيء ما مميز!»

كلمة "الهوى" في القرآن والروايات عادة ما تعني "محبة الأمور التافهة"

جاءت مفردة «الهوى» في القرآن وهي تستخدم باللغة الفارسية أيضاً بمعنى «الرغبة الملحة والنزوة». قال تعالى في كتابه العزيز: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواه» (الجاثية/٢٣) فهؤلاء هم عبَدَة الهوى. ولـ«الهوى» في رواياتنا معنى سيء في العادة؛ وهو النزوة وحب الأمور التافهة العديمة القيمة. لكن هذه الكلمة، أي «الهوى»، اكتسبت في آية قرآنية وحيدة معنى عجيباً وهو أسمى معنى يمكن تصوره للحبّ البشري. يخاطب سيّدُنا ابراهيم(ع) ربَّ العالمين في هذه الآية الشريفة: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ .... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (ابراهيم/٣٧)؛ أي: «ربِّ هيّئ الأسباب حتى تحنّ قلوب الناس إلى أسرتي وذريتي» واللطيف في هذه القضية أنه لم يستخدم لا لفظة «الحبّ» ولا لفظة «الودّ» اللتين جاءتا في آيات قرآنية أخرى.

«فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» مفهوم هذه الآية هو: "ربِّ اجعل أفئدة الناس تهوَى أهل البيت(ع)"/ "الهوى" جيد في حالة واحدة فقط وهو "أن يهوَى المرءُ أهلَ البيت(ع)"

وفي حديث له أشار الإمام الباقر(ع) إلى أن المقصود من الذين «تهوي إليهم» أفئدة الناس في دعاء النبي ابراهيم(ع) هم نحن آل البيت(ع): «.. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ فَقَالَ آلُ مُحَمَّدٍ آلُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ قَالَ إِلَيْنَا إِلَيْنَا إِلَيْنَا» (تفسير العياشي/٢/٢٣٤). فإن هذا الدعاء للنبي إبراهيم(ع) يعني: «يا رب اجعل قلوب الناس تهوَى أهل البيت(ع) وتحنّ إليهم». مَن يتّبع هوى نفسه فلا منطق لديه لأنه يقول: «يعجبني أن أفعل هذا!»، أي إنه لا يصغي الى الكلام المنطقي من الآخرين ولا يفكّر ولا يستخدم عقله أيضاً. وهذا التصرف خاطئ بالطبع ولذلك لا تحمل كلمة «الهوى» معنى حسناً بل تُستخدم عادة لعبَدَة الهوى. لكن استعمال مفردة «الهوى» جيد في موضع واحد، وهو مودة آل البيت(ع). كما يطلب سيدنا ابراهيم(ع) من الله تعالى أن «اجعل هوى ذريتي في أفئدة الناس»، أي اجعلهم يأتون إليهم «بشغف وشوق» بحيث يُقال عنهم «كأنهم جُنّوا!» على أنه بالنسبة لمحبة أهل البيت(ع) ولاسيما حبّ الحسين(ع) ينبغي أن نذعن بأنه «ما عاقلٌ مَن بحبّك لم يُجَنّ هوىً، بل عاقلٌ مَن بحبّك باتَ مجنونا» (شعر).

متى ما شعرت بالحنين الى زيارة كربلاء فاعلم أنه إلهام

يقول المرء: «أهوى السفر الى كربلاء، يعجبني ذلك، يحن قلبي لزيارة الحسين(ع)...». متى ما شعرت بالحنين الى زيارة كربلاء فاعلم أن هذا الشعور إلهام. يبدو في الظاهر وكأنه ضرب من الهوى، لكنه يخبّئ كلاماً عميقاً خلف ظاهره. كان هناك أشخاص يحبون الإمام الحسين(ع)، لكن ليس الى درجة الهوى والجنون! لقد كتبوا له الرسائل :»هلّم إلى الكوفة يا حسين(ع)، نحن باقون على العهد معك ومستعدون لنقدم أرواحنا فداء لك«. وكان الكثير منهم صادقين، لكن بعد أن توقف الإمام الحسين في كربلاء جعَلَ الكثيرُ منهم يعيد حساباته ويدرس الموضوع: أيهُبّ لنصرته أم لا؟! فطال تردّدهم إلى أن دخل الرأس الشريف للإمام الحسين(ع) إلى الكوفة! فقاموا وثاروا بوصفهم «توّابين» وقُتلوا جميعاً، لكنهم لم يكونوا في كربلاء، ولذا ستبقى الحسرة واللوعة في قلوبهم الى الأبد. كانت مشكلتهم هي أنهم لم يُجّنوا من أجل الحسين(ع) ولم يهبّوا لقتال عدوه معه.

حركة الأربعين العظيمة هي أسمى مصداق لـ"تعظيم شعائر الله"

لقد تجمّع اليوم ملايين الأشخاص - الذين جُنّ جنونهم من حبّ الحسين(ع) حسب تعبيري - إحياءً لأربعينية الحسين(ع) وباتوا يجعلون اسم الحسين(ع) عالمياً. وإن أسمى مصداق لقوله تعالى: «يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ» (الحج/٣٢) على مدى تاريخ البشرية هو زيارة الأربعين هذه بالذات. إن تعظيم شعائر الله على هذا المستوى هو أفضل من أي شكل آخر، فهو أفضل مثلاً من أن تقيموا موكباً بألفي شخص في مدينتكم. فاللطم في حسينية إلى أي مدى بوسعه أن يعظّم اسم الامام الحسين(ع) عالمياً؟ لكن انظروا الى حركة الأربعين العظيمة هذه كيف أنها تجعل اسم الإمام الحسين(ع) مدوياً في الآفاق! لذلك فإن زيارة الأربعين هذه هي المصداق الأعلى لـ«تعظيم شعائر الله».

دعاء الإمام الصادق(ع) لزائري الحسين(ع)

كان الإمام الصادق(ع) يخاطب ربه وهو يبتهل إليه: «اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَةِ وَوَعَدَنَا بِالشَّفَاعَةِ وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا، اغْفِرْ لِي وَ... وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَيْنِ، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...» (كامل الزيارات/ ص١١٦) وبعد أن انتهى الإمام(ع) من الدعاء والابتهال، قال له رجل من أصحابه: أظن أن من تشمله هذه الدعوات التي سمعتها منك لن تمسه نار جهنم أبداً! فأجابه (ع): «مَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» (كامل الزيارات/ ص١١٧)

الإمام الصادق(ع) يحذّر من ترك زيارة قبر الحسين(ع) مخافة أحدٍ أو أمرٍ ما

ثم قال الإمام الصادق(ع): «لا تَدَعْهُ لِخَوْفٍ مِنْ أَحَدٍ فَمَنْ تَرَكَهُ لِخَوْفٍ رَأَى مِنَ الْحَسْرَةِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ بِيَدِهِ، أَمَا تُحِبُّ أَنْ يَرَى اللهُ شَخْصَكَ وَسَوَادَكَ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُ رَسُولُ اللَّهِ(ص)؟! أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ تُصَافِحُهُ الْمَلائِكَةُ؟! أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ رَأَى وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَتُتْبَعَ؟! أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يُصَافِحُ رَسُولَ اللهِ(ص)؟!» (ثواب الأعمال/٩٦).

كثير من الناس لا يرى نفسه الأمارة عنصرا سيئا وخطرا، وحتى تراه قد صادَقَ نفسه!

كثير من الناس غير مقتنع بأن نفسه الأمارة عنصرا سيئا، ولا يشعر منها بخطر وحتى تراه قد صادَقَ نفسه! في حين يجب أن يعترينا هذا الشعور بحيث نرى نفسنا عدوّة لنا ونحظى بهذه الرؤية وهي أن نزعاتنا النفسانية والدانية سيئة وخبيثة جدّا، فإن لم نعتبرها عدوّا ولم نجاهدها، نتحوّل إلى أشخاص مدلّلين وعديمي المنطق وخطرين.

النبي الأكرم(ص): أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ/ في سبيل أن نجاهد نفسنا يجب أولا أن نعتبرها عدوّا

قال النبي الأعظم(ص): «أعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْك»(مجموعة ورّام/ج١/ص٥٩) فلابدّ أن نصدّق بأن نفسنا الأمارة عدوّ عزم على إذلالنا وإهلاكنا. فلا يجب أن لا نتخذ هذه النفس الخطرة ربّا وحسب، بل ينبغي أن لا نصادقها بل ولا نغفل عنها أبدا. إذ أن إهمال هذا العدو الخطر والقاسي والغفلة عنه يجرّ الويلات إلى الإنسان. إذن فمن أجل النجاح في عملية جهاد النفس، يجب أولا أن نعتبر النفس خصمنا وعدوّنا لنصرعها وإلا فهي التي سوف تصرعنا. يجب أن نغيّر مشاعرنا تجاه نفسنا، ولابدّ أن نعتبرها عدوّا لا ينفك عن محاولة إلحاق الضرر بنا وإذلالنا طرفة عين. فلا ينبغي أن نعيش أفكارا رغائبية ليوقعنا الشعور بالأمن الكاذب في فخّ عداواته الكامنة.

الإمام الكاظم(ع): جاهد نفسك... فإنه واجب عليك كجهاد عدوّك/ ليت الإذاعة والتلفزيون يعرضون لنا الجرائم التي ترتكب في المنطقة ليعرف الناس ما معنى العدوّ؟

قال الإمام الكاظم(ع) لأحد أصحابه: «**جَاهِدْ نَفْسَكَ لِتَرُدَّهَا عَنْ هَوَاهَا فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَجِهَادِ عَدُوِّكَ**» [**تحف العقول/ص٣٩٩**] في خضمّ حروب المنطقة هذه، ليت الإذاعة والتلفزيون تقتنع باتخاذ هذه الاستراتيجية وهي أن تعكس جرائم العدوّ أكثر للناس ليعرف الناس ما معنى العدوّ؟ فعلى سبيل المثال تطيل الوقوف عند مئات الأبرياء الذين ذبحوا أو أطلقت عليهم الرصاص واحدا واحدا على يد داعش، ليرى الناس ما يجري في العالم ويدركوا مفهوم «العدوّ».

ليس مستوانا في معرفة العدو والتصديق بوجود العدو جيّدا/ يسعى إبليس لإغفالنا عن العدو/ لا يغفل عاقل عن عدوّه اللدود والمدجّج بالسلاح/ مقطع فيلم يجب أن نراه مرّة واحدة ونطيل التفكير فيه مرارا

ليس مستوانا في معرفة العدوّ والتصديق بوجود العدوّ جيّدا، وإنها لمفاهيم غريبة في أدبياتنا. ومن جانب آخر يسعى إبليس لاستخفاف عقولنا وإغفالنا عن العدوّ. اليوم ومع تواجد العدوّ بقضّه وقضيضه لماذا لا نلتفت إليه ونتغافل عن وجوده؟ لا يغفل عاقل عن عدوّه اللدود والمدجّج بالسلاح. ولا يشعر إنسان عاقل بالأمن إلى جانب عدوّه القاسي. يجب أن نرى مرة واحدة المقطع الذي يذبح فيه قسّ مسيحي، ثم نطيل التفكير فيه مرارا. لابدّ أن نرى وجه ذاك الرجل الذي يذبح القسّ بكل برود، لنصدّق برذالة العدوّ وخبثه. فما تفعلون بهذا العدوّ إن سقط في أيديكم؟! أفلا تبطشون به؟! والحال أن النبي(ص) قد اعتبر النفس الأمارة أعدى من ذلك العدو. لابدّ أن يترسخ هذا المعنى وهو أن نفسنا الأمارة عدوّة لنا، فيجب أن نهاجمها ونقمعها كما نهاجم العدو.

إذا عرفنا أن أعدى عدوّنا هي نفسنا، تهون عندنا عداوات المؤمنين لنا

قال أمير المؤمنين(ع) في وصيته: «**اللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ لِلْأَنْفُسِ؛ فَهِيَ أَعْدَى الْعَدُوِّ لَكُم**» [**دعائم الإسلام/٢/٣٥٢**]. فإذا عرفنا أن أعدى عدوّنا نفسنا، تهون عندنا عداوات المؤمنين المختصرة لنا. طبعا حساب الكفار والمنافقين المعاندين للإسلام والمسلمين يختلف عن عداوات المؤمنين الشخصية أو الناتجة من سوء التفاهم، فلابدّ من معاداة الكفار والمنافقين.

أمير المؤمنين(ع): وإنَّ أوَّلَ المعاصِي تَصدِيقُ النَّفسِ، والرُّكُونُ إلى الهَوَى

ثم قال أمير المؤمنين(ع) في تكملة وصيته: «**وإنَّ أوَّلَ المعاصِي تَصدِيقُ النَّفسِ، والرُّكُونُ إلى الهَوَى**» [**دعائم الإسلام/٢/٣٥٢**] فشرط الأمان من هذه المعصية الأولى هي أن نكذب النفس ولا ننسجم معها.

بالإضافة إلى معاداة النفس يجب أن نلتفت إلى قبحها/إن نفس الإنسان موجود خبيث قذر وقح وطاغ

إذن الخطوة الأولى هي تكذيب النفس ومعاداتها. ولكن بالإضافة إلى معاداة النفس يجب أن نلتفت إلى قبحها. إنها لموجود خبيث قذر وقح وطاغ. طبعا لا يخفى أنه عندما نقول النفس السيئة، نقصد الجانب الحقير من النفس الذي يميل إلى الدنيا، أما روح الإنسان ففيها أبعاد جميلة جدا تعكس جمال الله سبحانه. لقد قال الله المتعال في حديثه المعراج مخاطبا حبيبه الرسول الأعظم(ص): «**يَا أَحْمَدُ لَا تَتَزَيَّنْ بِلِينِ اللِّبَاسِ وَ طِيبِ الطَّعَامِ وَ لَينِ الْوَطَاءِ فَإِنَّ النَّفْسَ مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَ هِيَ رَفِيقُ كُلِّ سُوءٍ، تَجُرُّهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ تَجُرُّكَ إِلَى مَعْصِيَتِهِ وَ تُخَالِفُكَ فِي طَاعَتِهِ وَ تُطِيعُكَ فِيمَا تَكْرَهُ وَ تَطْغَى إِذَا شَبِعَتْ وَ تَشْكُو إِذَا جَاعَتْ وَ تَغْضَبُ إِذَا افْتَقَرَتْ وَ تَتَكَبَّرُ إِذَا اسْتَغْنَتْ**» ثم يقول في تكملة هذا الحديث: «**مَثَلُ النَّفْسِ كَمَثَلِ النَّعَامَةِ؛ تَأْكُلُ الْكَثِيرَ وَ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهَا لَا تَطِيرُ وَ مَثَلُ الدِّفْلَى لَوْنُهُ حَسَنٌ وَ طَعْمُهُ مُرٌّ**» [**الجواهر السنية في الأحاديث القدسية/ص٣٨٣**] «**أُتِيَ أميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام بِخِوانِ فالوذَجٍ، فوُضِعَ بَينَ يَدَيهِ فنَظَرَ إلى صَفائهِ و حُسنِهِ، فوَجَئَ بإصبَعِهِ فيهِ حَتّى بَلَغَ أسفَلَهُ، ثُمَّ سَلَّها ولَم يَأخُذْ مِنهُ شَيئا، و تَلَمَّظَ إصبَعَهُ وقالَ: إنَّ الحَلالَ طَيِّبٌ و ما هُوَ بِحَرامٍ، و لكِنّي أكرَهُ أن أُعَوِّدَ نَفسي ما لَم أُعَوِّدْها، اِرفَعوهُ عَنّي، فرَفَعوهُ**» [**المحاسن/٢/٤٠٩**] عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ(ع): «**إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع أُتِيَ بِخَبِيصٍ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ فَقَالُوا لَهُ أَ تُحَرِّمُهُ قَالَ لَا وَ لَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَتُوقَ إِلَيْهِ نَفْسِي فَأَطْلُبَهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها)**» [**أمالي المفيد/١٣٤**] وقد ذكر ما يشابه هذه الحكاية عن رسول الله(ص) أيضا [راجع المحاسن/ج٢/ص٤٠٩] في الواقع قد امتنع أمير المؤمنين(ع) عن هذا الطعام لأنه كان لذيذا جدّا، فعلّل امتناعه عن الأكل بأني إذا لبيت رغبة نفسي الآن، ستطغى نفسي وتتمادى في مطالباتها وتذرعاتها فتخرج عن سيطرتي ولم أعد أقوى عليها.

لابدّ من ذبح النفس والوقوف أمام مطالباتها من بادئ الأمر

لابدّ أن نتمرّد على النفس ونمتنع عن تلبية رغباتها من بادئ الأمر، وإلا فتصبح نفسا مدلّلة طاغية، ثم تزداد مطالباتها وتذرعاتها إلا أن تخرج عن سيطرتنا ونعجز عن كبحها، خاصة وإن مطالباتها لا تنتهي ولن تتوقف إلا بعد أن تشقي الإنسان. إذن فالعاقل هو من وقف في وجه نفسه منذ البداية وتنبأ من الأوّل نهاية الطريق الذي تؤدي به أهواء النفس. لابدّ أن نقمع النفس من البداية ولا ندلّلها أو نسمح لها بالوقاحة وإلا فإن وقحت أو قويت فسنعجز عن صرعها. النفس الوقحة تغضب بسرعة، وتغفر بتأخر، كثيرة الحقد وسريعة الانزعاج، لا تلتذّ بسهولة، وسرعان ما تشكو وكذلك تتصف بآلاف الخصال السيئة التي تشقي الإنسان.

لماذا نركّز في دروسنا وأبحاثنا المعنوية والأخلاقية على المواضيع الفرعية؟!

لماذا نركّز في دروسنا وأبحاثنا المعنوية والأخلاقية دائما على المواضيع الفرعية؟ فعلى سبيل المثال لماذا نطرح موضوع الشكر في بادئ ذي بدء، فيعجب جميع الحاضرين بالموضوع دون أن يصبح أحدهم شاكرا؟! ثم يقولون: «ما أجمل الشكر ويا ليتنا كنا شاكرين!» أفهل تسمح لنا نفسنا الطاغية والخبيثة بأن نكون شاكرين؟! لماذا نترك جميع المقدّمات ونتحدّث عن الصبر؟! أفهل تسمح لنا نفسنا المدلّلة بأن نكون صابرين؟! الحقيقة هي أننا ما لم نسلك الطريق الرئيس أي طريق جهاد النفس، لا نستطيع أن نتحدث عن أي مفهوم راق وجميل مثل الشكر والصبر والسخاء وغيرها. ولكن بعد الدخول في هذا الطريق سوف ينفعنا الحديث عن جميع هذه الفضائل كما سوف تنفعنا الذكرى في هذا الخصوص. بعد ما عرفنا أهمية جهاد النفس وموقعه في حياة الإنسان سوف نعرف جذور مشاكلنا وندرك بأن تقصيرنا في جهاد النفس هو الذي أدى إلى نقصان صبرنا وقلّة شكرنا وبخلنا وغيرها.